ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [0.88].

الدور العسكري للمغاربة في الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي خلال العهدين الفاطمي والزنكي (٣٦٢هـ - ٩٧٣م/ ٥٦٩ – ١١٧١م)

محمد عيساوة

باحث في التاريخ الوسيط

المدرسة العليا للأساتذة

بوزريعة – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّصْ

كان العالم الإسلامي خلال الحروب الصليبية يعيش ظروفًا سياسية صعبة كرست الانقسام الحاصل والفرقة التي كانت واضحة لكل ذي عين، وعلى الرغم من الظروف السيئة التي أحاطت بالعالم الإسلامي نتيجة مباشرة للبعد عن الأخذ الكامل بمنهج الإسلام في الحياة – فإن الدول الإسلامية -بما بقي فيها من اعتزاز بمنهج دينها لم تستسلم لهذا الغزو الصليبي طالما فيها بقية على القدرة في المقاومة. هذا ما أدى إلى إعلان حالة النفير في العالم الإسلامي للتصدي لهذه الحملات الصليبية المنظمة. يا ترى ما هو رد فعل دول العالم الإسلامي إزاء هذه الحملات الصليبية؟ وهل كان للجالية المغربية التي استقرت بمختلف الحواضر المشرقية دور في ذلك؟ يهدف هذا المقال إلى إبراز المشاركة العسكرية الفعّالة للمغاربة في الحروب الصليبية بالمشرق الإسلامي خلال العهدين الفاطمي والزنكي، حيث وقف المغاربة صفًا واحدًا إلى جانب إخوانهم المشارقة ضد الصليبيين، ولم يكن هذا غريبًا في شيء، لاسيما إذا تذكرنا أن بلاد المغرب والأندلس كانت تعيش نفس الظروف في صراعها مع النصارى المسيحيين في الجزء الغربي من العالم الإسلامي، هذه المشاركة من طرف المغاربة نالوا بها كل الحفاوة والتكريم من طرف السلاطين الزنكيين لما يقومون به من تضحيات كبيرة وسخية في مختلف الحقول والميادين خاصةً الميادين العسكرية.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ٣١ مايو ٢٠١٥

تاريخ قبـول النشـر: ١٦ سبتمبر ٢٠١٥

كلمات مفتاحية:

تاريخ العصور الوسطى، الحركة الصليبية، المشرق الإسلامي، الدولة الفاطمية، الدولة الزنكية

معرّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0045093

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

محمد عيساوة. "الدور العسكري للمغاربة في الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي خلال العهدين الفاطمي والزنكي (٣٦٢هـ - ٩٧٣م/ ٥٦٩ – ١١٧١م)".- دورية كان التاريخية.- السنة العاشرة- العدد السابع والثلاثون؛ سبتمبر ٢٠١٧. ص١٣٨ – ١٤٢.

مُقَدِّمَةُ

إن الأمة العربية الإسلامية اليوم تتعرض لكثير من الأحقاد والضغائن التي تدعو إلى ضرورة فصل بلاد المغرب الإسلامي عن مشرقه لاعتبارات سياسية وإثنية، وذلك بإثارة الفتن وتشويه التاريخ بمختلف الطرق والوسائل لا سيما تلك الدراسات الاستشراقية التي حاول روادها جاهدين للترويج إلى ذلك، مدّعين بذلك بأن الدول التي حكمت بلاد المغرب والأندلس في العصر الوسيط أرادت الانفصال عن مركز الخلافة بالمشرق الإسلامي، وتأسيس كيانات سياسية قائمة بذاتها خاصة ببلاد المغرب. لكن الحقيقة التاريخية تثبت عكس هذا الطرح، إذ أن حكام وشعوب المنطقتين عملوا جاهدين من أجل التواصل والالتقاء في شتى المجالات.

هذه الرغبة في التواصل كانت عبارة عن عاطفة تسري في نفس كل مغربي ومشرقي، ولدت مباشرة بعد عملية الفتح الأولى التي قادها أبناء المشرق نحو بلاد المغرب، والتي ساهمت في إدماج سكانه ضمن المنظومة العربية. وبالمقابل كانت الحروب الصليبية التي شنها الغرب المسيحي نهاية القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي على العالم الإسلامي، والتي شهد المشرق أحد أدوارها، ترجمة حقيقية لتواصل الغرب الإسلامي مع المشرق، حيث ساهم المغاربة مساهمة فعالة في الذود عن حياض الإسلام والمسلمين في المشرق. ومن منطلق الدور الريادي الذي لعبه

المغاربة في هذه الحروب أردنا إماطة اللثام عن هذا الموضوع المتمثل في الحديث عن مدى مساهمة أبناء المغرب إلى جانب إخوانهم المشارقة في التصدي لهذه الحملات الصليبية الشرسة خلال العهدين الفاطمي والزنكي، وكذا دحض الرؤى الاستشراقية الرامية إلى فصل بلاد المغرب عن مشرقه.

أولاً: العهد الفاطمي

(٣٦٢ -٥٦٧هـ/ ٩٧٣- ١١٧١م)

عاصرت الحملة الصليبية الأولى[١]، وجود الفاطميين ببلاد المشرق، ومن المعلوم أن المجتمع الفاطمي قد ضم في ثناياه قوة مغاربية كان عمادها قبيلة كتامة، والملاحظ أن هؤلاء المغاربة قد لعبوا دورًا كبيرًا في التصدي للصليبيين. والواقع أن اشتراك المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق ليس غريبًا في شيء، لاسيما إذا تذكرنا أن بلاد المغرب والأندلس كانت تعيش نفس الظروف في صراعها مع النصارى المسحيين في الجزء الغربي من العالم الإسلامي.[٢]

استمد الفاطميون قوتهم الحربية من عنصرين أساسين منهما العنصر المغربي والعنصر المشرقي، فالمغاربة هم من البربر وكان من أهم قبائل البربر التي أمدت الجيش برجالها فروع الكتامية والباطلية، والمصامدة والجوذرية "نسبة إلى قائدهم جوذر" وزويلة التي جاءت مع جوهر من المغرب[٣]، ويؤكد ناصر خسرو على أن الجيش الفاطمي كان عماد قوته الكتاميين إذ يقول: "كان في الجيش الذي يخرج للقتال فرقة تسمى فرقة الكتاميين، هم من القيروان أتوا في خدمة لدين الله، وقيل أنهم عشرون ألف فارس".[٤] ونود أن نشير إلى أن المغاربة قبل أن يشتركوا في الحروب الصليبية المنظمة قد ورد ذكرهم في المصادر التاريخية حيث يورد المقريزي دورهم في التصدي للحملة البيزنطية التي قادها تزيمسكيس المعروف في المصادر العربية بابن الشمشقيق في أواخر سنة ٣٦٤هـ، وأوائل سنة (٣٦٥هـ/ ٩٧٦م)، والذي قام بحملة برية ضخمة مستهدفة المدن الداخلية في الشام، والتي كانت تحت حكم الفاطميين (حمص وبعلبك) ثم تحولت إلى مدن الساحل (بيروت وصيدا).[٥]

يستفاد من الرواية الذي ذكرها المقريزي أن جهود المغاربة بدأت مبكرة ونقرأ ذلك من خلال ذودهم عن بلاد المشرق والتصدي للحملات البيزنطية. هذا وتشير المصادر أيضًا إلى أن القائد الفاطمي نصير الخادم الصقلي وصل بيروت بطريق البحر ومعه عسكر كثير من المغاربة في الدفاع عنها، إلى جانب مغادرة ريان الخادم دمشق ومَنْ معه من المغاربة بغرض الدفاع عن طرابلس بعد أن جاءت الأخبار بنزول البيزنطيين لحصارها.[٦] وما يدل على مشاركة المغاربة أن الإمبراطور صاحب الحملة بعث برسالة إلى ملك الأرمن أشوط شاهان، ذاكرًا له بأن هناك فرقة من المغاربة من حامية طرابلس تقدر بألفي رجل تقوم بمهمة استطلاعية وترصد الطريق وقد سمى المغاربة بالإفريقيين.[٧] هذا إلى جانب حضورهم القوي كمرابطين على ساحل صيدا، الذين شحنه الفاطميون بآلاف الجند المغاربة يتقدمهم القائد ابن كرامة المغربي.[٨]

ومن القرائن أيضًا على اشتراك المغاربة، نذكر أنه في سنة ٣٧٠هـ تولى أمر طرابلس قائد مغربي هو نزال الغربي الكتامي والذي كان تحت إمرته ستة آلاف رجل، وكان لهم دور في مواجهة البيزنطيين حيث نازل هذا القائد ومن معه مدينة اللاذقية، التي كانت بأيديهم، كما نجح مع قائد فاطمي آخر يدعى ابن شاكر في أسر القائد البيزنطي المعين عليها من طرف الإمبراطور باسليوس الثاني، ويورد النويري هذا الخبر في حوادث (٣٧٢هـ/ ٩٨٢م) ويضيف أن نزال قد دخل القاهرة ومعه خمسة آلاف من الروم مقيدين بالسلاسل.[٩]

ومع بداية الحملات الصليبية المنظمة نلمس دورًا آخر للمغاربة، فإذا كان على الفاطميين الشيعة أن يكافحوا الغزو الصليبي في المشرق، فقد كان على المرابطين أن يجاهدوا الإسبان في الأندلس، وهكذا تبدوا لنا الأوضاع السياسية، وكأن كل دولة منصرفة عن الأخرى بمشاكلها الخاصة. لكن الملفت للانتباه أن الفاطميين لم يكونوا وحدهم من انشغل بالحروب ضد الصليبين الغزاة، فالجبهة المغربية كانت هي الأخرى حاضرة وحسبنا شاهدًا في ذلك ما يرويه ابن الأثير في حوادث سنة (٤٩٩هـ)، إذ يقول: "ورد على بغداد أمير من الملثمين (أي المرابطين) ملوك المغرب قاصدًا دار الخلافة، فأكرم وكان يرافقه أحد الفقهاء أتى الخليفة وقام بالوعظ في جامع القصر، فاجتمع له العالم العظيم وكان يعظ وهو متلثم لا يظهر منه غير عينيه، كان هذا الأخير قد حضر مع الأفضل أمير الجيوش بمصر وقعته مع الفرنج، وأبلى بلاءً حسنًا".[١٠]

يستنتج من حصاد ما سبق؛ أنه على الرغم من العداء الذي كان بين الدولتين الفاطمية (الشيعية)، والمرابطية (السنية) لم يمنع من مؤازرة بعضهم البعض وحسبنا في ذلك عدد المغاربة الذين شاركوا إخوانهم في جهادهم للصليبيين. على أن دولة المرابطين لم تعمر طويلاً حيث سقطت في النصف الأول من القرن السادس هجري، الثاني عشر ميلادي، وقامت على إنقاذها دولة مجاهدة أخرى هي دولة الموحدين والتي قامت كحركة إصلاحية تهدف إلى توحيد المغرب، كما كانت ترنو إلى تخليص بيت المقدس والشام، والأندلس من المستعمر الصليبي، وتأكيدًا لهذا المطلب فتحت الباب على مصراعيه أمام المتطوعين من المغاربة للسفر إلى مصر والشام ومشاركة إخوانهم المشارقة في جهاد الصلبيين برًا وبحرًا.[١١]

ثانيًا: العهد الزنكي

(٥٢١- ٥٦٩هـ/ ١١٢٧- ١١٧١م)

أثبتت الأحداث التاريخية التي جرت في المرحلة الأولى من المواجه العربية الصليبية أن دولتي الخلافة العباسية والفاطمية رغم ما قامتا به من دور في مواجهة الصليبيين، إلا أنهما لم ترقيا إلى المستوى المطلوب إذ لم تمثلا النموذج الأمثلة لقيادة الأمة العربية. وهكذا فرضت الأحداث التاريخية نمط الدولة العسكرية بديلاً مناسبًا بشرط أن تقوم بتوحيد الجهود في مواجهة الصليبيين، فكان دولة عماد الدين زنكي التي ارتكزت على محور الموصل– حلب، هي السابقة التاريخية أو التجربة الأولى في صياغة الدولة العسكرية الموحدة تحت راية قائد واحد يقود جيشه بنفسه، في ميدان الحرب ولقد تولى، عماد الدين زنكي حكم الموصل سنة (٥٢١هـ/ ١١٢٧م)، ليقود دولته الصغيرة في الموصل نحو هدف مزدوج هو توحيد الجهود العربية الإسلامية، وطرد الصليبيين من الأراضي العربية الإسلامية.[١٢] ثم خلفه ابنه نور الدين (ت٥٦٩هـ) وكانت تؤازره أسرة صلاح الدين الأيوبي منهم: نجم الدين أيوب وشيركوه، ثم صلاح الدين الأيوبي، وقد رحب هؤلاء القادة المشارقة بجميع المجاهدين الوافدين من المغرب، واستعانوا بهم في جيوشهم البرية وأساطيلهم البحرية، وهنا يظهر دور المغاربة بوضوح في جهاد الصليبيين سواء في مصر أو الشام.[١٣]

ويتجلى لنا دور المغاربة أكثر خلال الحروب الصليبية، إذ تذكر المصادر أنه لما نزل الفرنجة بنواحي دمشق، سنة (٥٤٣هـ) في عشر آلاف فارس وستين ألف رجل، خرج المسلمون من دمشق للمصاف، فكانوا مائة وثلاثين ألف راجل وعسكر البلد، فاستشهد نحو المائتين ثم برزوا في اليوم الثاني فاستشهد جماعة وقتل من الفرنج عدد كثير، فلما كان خامس يوم وصل غازي ابن أتابك وأخوه نور الدين في عشرين ألفا إلى حماة وكان أهل دمشق في الاستغاثة والتضرع إلى الله وأخرجوا المصحف العثماني إلى صحن الجامع وضج النساء والأطفال مكشفين الرؤوس، وصدقوا الافتقار إلى الله فأغاثهم، وفي هذه المعركة توفي أبو الحجاج يوسف ابن دوباس المغربي المالكي،[١٤] وكان فقيها عالمًا صالحًا حلو المجالسة قتل في سبيل الله في حصار الفرنج لدمشق مقبل غير مدبر بالنيرب.[١٥]

وتنهض إشارة ابن جبير دليلاً إضافيًا على مشاركة المغاربة ونقرأ ذلك في معرض حديثة عن مدينة بنياس ومروره بحصن تبنين قوله: "بأنه موضع لتمكيس القوافل وأكثر المعترضين في هذا المكس المغاربة، ولا اعتراض على غيرهم من جميع بلاد المسلمين وذلك لمقدمة منهم أحفظت الإفرنج عليهم، سببها أن طائفة من أنجادهم غزت مع نور الدين رحمه الله أحد الحصون، فكان لهم في أخذه غنى ظهر واشتهر، فجازاهم الإفرنج بهذه الضريبة المكسية ألزموها رؤوسهم، فكل مغربي يزن على رأسه الدينار المذكور في اختلاف على بلادهم، وقال الإفرنج: أن هؤلاء المغاربة كانوا يختلفون على بلادنا ونسالمهم، ولا نرزأهم، فلما تعرضوا لحربنا وتألبوا مع إخوانهم المسلمين علينا، وجب أن نضع هذه الضريبة عليهم" فللمغاربة في أداء هذا المكس سبب من الذكر الجليل في نكايتهم بالعدو يسهله عليهم ويخفف عنتهم عنهم.[١٦]

وإلى جانب ما أسهم به المغاربة بجهودهم الحربية عن حياض الإسلام تطلعنا المصادر عن مشاركتهم الفعالة في التقدم الحضاري الذي عرفته مختلف حواضر المشرق ومن القرائن الدالة على ذلك هو ما ذكره ابن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ-١٢٦٩م) حيث يذكر أن أبو المجد ابن أبي الحكم عبيد الله ابن المظفر ابن عبد الله الباهلي من الحكماء المشهورين، والعلماء المذكورين والأفاضل في الصناعة الطبية كان يلقب بأفضل الدولة، إذ كان في دولة السلطان الملك العادل نور الين محمود زنكي رحمه الله، فكان يرى له ويحترمه ويعرف مقدار علمه وفضله ولما أنشأ الملك العادل نور الدين البيمارستان الكبير جعل أمر الطب إليه فيه، وكان يتردد إليه ويعالج المرضى فيه، وكان أبو المجد يدور على المرضى به ويتفقد أحوالهم.[١٧] كما قام الطبيب علي ابن بذوخ القلعي المغربي في دمشق سنينًا كثيرة وكان يعالج من يأتي إليه أو يستوصف منه توفي بدمشق في سنة خمس أو ست وسبعين وخمسمائة.[١٨]

ونظير هذه الجهود المغربية نجد أن المشارقة في عهد الزنكيين قد حرصوا على إظهار إعجابهم وتقديرهم لما بذله إخوانهم المغاربة ذودا عن حياض الإسلام والمسلمين في المشرق بمثل اندفاعهم لدفع الأخطار عن بلادهم فاحتضنوهم، وتعاطفوا معهم، وتمادوا بتكريمهم ومساعدتهم، ونلمس ذلك في اهتمامهم بمسألة افتكاك الأسرى المغاربة من قبضة الفرنج حيث اعتبروها واجب ديني ينال الأجر من ورائها. فذكر أن نور الدين الزنكي نذر في مرضة أصابته مبلغًا كبيرًا من المال لفداء أسرى من المغاربة، فلما ابتل من مرضه، أرسل في فدائهم فسيق فيهم نفرًا ليسوا مغاربة، وكانوا من حماة من جملة عمالته، فأمر بصرفهم وأخرج عوضًا عنهم من المغاربة، وقال: "هؤلاء يفتكهم أهلهم وجيرانهم والمغاربة غرباء لا أهل لهم".[١٩] هذا ويذكر أسامة ابن منقذ في سياق إشارته لافتكاك نحو أربعمائة من المغاربة وقعوا في أسر الفرنج أن معين الدولة أنر صاحب دمشق أصر على أن يسهم بنفقات افتكاك هؤلاء الأسرى قائلا لأسامة: "لا بل، أنا أزن والله ثمنهم، وأنا أرغب الناس في ثوابهم".[٢٠]

وتقديرًا للجهود التي كان يبذلها المغاربة خلال الحروب الصليبية، دفع الأمر بنور الدين الزنكي إلى اتخاذ بعض التسهيلات والإجراءات الخاصة بهم وهذا ما نلمسه في شهادة ابن جبير عند قوله: "وسائر الغرباء ممن ليس على هذا الحال، ممن عهد الخدمة

والمهنة يسبب له أيضًا أسبابًا غريبة من الخدمة، إما بستانا يكون ناطورا فيه أو حمام يكون عينا عليه، وحافظا لأثواب داخلية، أو طاحونة يكون أمينا عليها، أو كفالة صبيان يؤديهم إلى محاضرهم ويصرفهم إلى منازلهم إلى غير ذلك من الوجوه الواسعة، وليس يؤتمن فيها كلها سوى المغاربة الغرباء"،[٢١] ومن مناقبه أيضًا "رحمه الله" أنه كان قد عين للمغاربة الغرباء الملتزمين زاوية المالكية في المسجد الجامعي المبارك أوقافًا كثيرة، منها طاحونتان وسبعة بساتين وأرض بيضاء، وحمام ودكانان بالعطارين.[٢٢]

خَاتِمَةٌ

إن التكامل المشرقي المغربي الذي حدث بعد عملية الفتح مباشرة ساهم في انتقال عدد كبير من المغاربة إلى بلاد المشرق مشكّلين بذلك جالية دائمة في المنطقة كان لها دور بارز في الجهاد ضد الصليبيين فيما بعد، وقد تميزت أغلب المصادر التاريخية في وصفها للمشاركة العسكرية المغربية ضد الصليبيين في المشرق، بالتركيز على المحاسن، مما جعل الصورة التي رسمها المؤرخون والرحالة تبدو واضحة وجلية. فالمغاربة الذين شاركوا إخوانهم المشارقة في جهاد الصليبيين، نجدهم في بعض الأحيان ربما كانوا أكثر اندفاعًا وحرصًا من أهل البلاد الأصليين، فلم تقعدهم الشيخوخة، ولا التقدم في السن، ولم يرهبهم الموت، أو فقدان الأموال، مسطّرين بذلك أنصع الصفحات وأنقاها، ممّا يدل على صدق انتمائهم العربي الإسلامي.

الهَوامِشُ:

(١) في سنة (٤٨٦هـ/١٠٩٣م) قدم إلى بيت المقدس راهب فرنسي يدعى "بطرس الناسك" للحج والزيارة، ولعله اغتاظ لرؤية السيادة الإسلامية على فلسطين والأماكن النصرانية المقدسة، فعزم على دعوة المسيحيين لإنقاذ الأماكن النصرانية المقدسة من أيدي المسلمين، فكر راجعًا إلى وطنه فرنسا وعرج على روما حيث يوجد البابا أوربان الثاني فأخبره بذلك، فقام هذا الأخير بعقد المجامع الكنسية للبحث عن كيفية تنفيذ خطة غزو البلاد الشامية وتخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين، وعقد المجمع الكنسي في بليزانس في إيطاليا (١٠٩٥م) إلا أنه لم ينجح فعقد مرة ثانية في كليرمون في نوفمبر ١٠٩٥م، واتفق أن يكون موعد الانطلاق يوم ١٥ أوت ١٠٩٦م، وكانت هذه الحملة شعبية بقيادة بطرس الناسك، ثم تلتها حملة رسمية في جانفي ١٠٩٩م، توجه خلالها الصليبيون نحو بيت المقدس، وتعتبر هذه الحملة هي الأولى ثم تلتها حملات أخرى، انظر: عيسى، الحسن: **تاريخ العرب – من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية** – ط١/ عمان – الأردن: الأهلية لنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، ص٩٣، ٩٤، ٩٨.

(٢) زكي محمد، حسن: **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، د ط، بيروت– لبنان: دار الرائد العربي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٨٥.

(٣) عبد الرحمان، زكي: **الجيش المصري في العصر الإسلامي – من الفتح العربي إلى معركة المنصورة**، د ط، القاهرة: مكتبة الأنجاد المصرية، د ت، ص ٣٠.

(٤) ناصر خسرو: **سفرنامة**، ترجمة: يحيى الخشاب، ط٢، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٤٣م، ص١٠٩.

(٥) المقريزي: **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، ج١، ص ٢٢١.

(٦) عمر عبد السلام، التدمري: "**المغاربة في ساحل الشام – تاريخهم السياسي والحضاري في العصر الفاطمي**"، مجلة التاريخ العربي، ع ١٩٩١/٢م، ص. ص ٢٣٧، ٢٣٨.

(٧) نفسه، ص ٢٣٨.

(٨) نفسه، ص ٢٣٨.

(٩) نفسه، ص ٢٤٠.

(١٠) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط١، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٣، ص ٩٧؛ "روى أن سبب مجيء هذا الملثم إلى بغداد أن المغاربة كانوا يعتقدون في العلويين أصحاب مصر الاعتقاد القبيح، فكانوا إذا أرادوا الحج يعدلون عن مصر، وكان أمير الجيوش بدر الجمالي والد الأفضل أراد مصالحتهم فلم يميلوا إليه، ولا قاربوه ... فلما ولي ابنه الأفضل أحسن إليهم، واستعان بمن قاربه منهم على حرب الفرنج، وكان هذا الملثم من جملة من قاتل معه، فلما خالط المصريين خاف العودة إلى بلاده، فقدم بغداد ثم عاد إلى دمشق، ولم يكن للمصريين حرب مع الفرنج إلا وشهدها، فقتل في بعضها شهيدًا، وكان شجاعًا، فتاكًا، مقدامًا". انظر: نفسه، ص٩٧.

(١١) أحمد، مختار العبادي: "**دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي**"، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، الإسكندرية: د. ع/ ٢٠٠٠م، ص ٨٤.

(١٢) قاسم عبده، قاسم: **ماهية الحروب الصليبية**، د ط، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٨م، ص. ص ١٥٤، ١٥٥.

(١٣) أحمد مختار، العبادي: "**دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي**"، ص ٨٥.

(١٤) هو يوسف ابن دوناس الفندلاوي المغربي، أبو الحجاج الفقيه المالكي، قدم الشام حاجا فسكن بانياس مدة، وكان خطيبا بها ثم انتقل إلى دمشق فاستوطنها، ودرس بها على مذهب مالك "رضي الله عنه" وحدث بالموطأ وفي سنة ٥٤٣هـ كان قد خرج فيمن خرج من المسلمين لقتال الفرنج، فلقيه الأمير المتولي وقد لحقه مشقة من المشي، فقال له: أيها الشيخ الإمام ارجع فأنت معذور للشيخوخة، فقال: لا ارجع، نحن بعنا واشترى منا يريد قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ -التوبة ١١١- انظر: الحموي، ياقوت ابن عبد الله: **معجم البلدان**، د ط، بيروت – لبنان: دار صادر، د ت، ج٤، ص. ص ٢٧٧، ٢٧٨؛ ابن القلانسي، أبو يعلى: **تاريخ أبي يعلى**، دون ذكر الدار ولا تاريخ النشر، ص ٢١٩؛ المقديسي: **الروضتين في أخبار الدولتين – النورية والصلاحية**- د ط، القاهرة: مطبعة وادي النيل، ١٢٨٧هـ، ج١، ص ٥٢؛ الشهابي، قتيبة: **صمود دمشق أمام الحملات الصليبية** – مستخرجة من نصوص المؤرخين العرب والأجانب، د ط، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٨م، ص ١٦٤؛ عاشور، فايد حماد محمد: **جهاد المسلمين في الحروب الصليبية – العصر الفاطمي والسلجوقي والزنكي**، ط٣، بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٢١٥.

(١٥) الذهبي: **العبر في خبر من غبر**، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد ابن بسيوني زغلول، د ط، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، د ت، ج٢، ص. ص ٤٦٣، ٤٦٦.

(١٦) ابن جبير: **رحلة ابن جبير**، ط٢، بيروت – لبنان: دار صادر، د ت، ص ٢٧٤.

(١٧) ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق: نزار رضا، د ط، بيروت – لبنان: منشورات دار الحياة، د. ت، ص ٦٢٨؛ الصفدي: **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط١، بيروت – لبنان: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٠م، ج٤، ص ٢٠.

(١٨) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص. ص ٦٢٨، ٦٢٩.

(١٩) ابن جبير: المصدر السابق، ص ٢٨٠.

(٢٠) ابن منقذ، أسامة: **كتاب الاعتبار**، د ط، القاهرة: مكتب الثقافة الدينية، د ت، ص ٨٢.

(٢١) ابن جبير: المصدر السابق، ص. ص ٢٥٠، ٢٥١.

(٢٢) نفسه، ص ٢٨٧.